مقابلة خاصة

أجرى المقابلة: أنطوان شلحت وبلال ضاهر

يوسي سريد: لا بديل عن تسوية وفق حدود ١٩٦٧ وتقسيم القدس كأساس للمفاوضات

اغتيال رابين تسبب باغتيال طريقه أيضًا، وسلوك باراك في كامب ديفيد زلزل العملية السياسية وأصاب «اليسار» كله في مقتل!* الاحتلال والديمقراطية لا يسيران معًا، وبما أننا لا نتنازل عن الاحتلال فإن نظامنا الديمقراطي يواجه خطرًا كبيرًا

نظرة إلى الوراء، وأخرى إلى الأمام

في نظرة إلى الوراء يعتقد يوسي سريد، الذي أشغل في حياته السياسية الطويلة مناصب كثيرة منها وزير جودة البيئة ووزير التربية والتعليم وعضو كنيست عن حزب العمل ورئيس حزب ميرتس، أن اغتيال رئيس الحكومة الإسرائيلية الأسبق إسحق رابين في العام ١٩٩٥ تسبب باغتيال طريقه لتسوية الصراع الإسرائيلي– الفلسطيني، إذ سرعان ما أدى ذلك إلى صعود رئيس الليكود بنيامين نتنياهو إلى سدّة الحكم، وقد تركز جلّ همّه منذ ذلك الوقت في كبح الاتفاقات التي تم التوصل إليها. ويؤكد أن مؤتمر القمة الذي عقد في كامب ديفيد العام ٢٠٠٠ زلزل العملية السياسية برمتها، وأنه حذّر رئيس الحكومة في ذلك الوقت إيهود باراك من مغبة الذهاب إليه لاعتقاده بأنه لم يُجهز مسبقًا بما فيه الكفاية للتوصل إلى اتفاق بشأن الحل النهائي، ولم يكن وحيدًا في تحذيره هذا، من دون أن يستبعد احتمال أن باراك ذهب إلى تلك القمة لغايات أخرى غير غاية التوصل إلى اتفاق كهذا، كما قال بلسانه في وقت لاحق، لافتًا إلى أن أداء باراك في القمة وبعدها أصاب «اليسار» الإسرائيلي كله في مقتل، بحيث لم تقم له قائمة حتى الآن.

وحرص سريد في نظرة أخرى إلى الأمام على أن يشير إلى أنه على الرغم من استحالة التوصل إلى حل للصراع في الوقت الحالي، إلا إنه ثمة حل له بطبيعة الحال، وهو كامن مثلاً في مبادرة السلام العربية التي ما انفكت إسرائيل تتجنب التعامل معها بصورة جادة، وإلى أنه لا بديل من تسوية وفق حدود ١٩٦٧ وتقسيم القدس كأساس للمفاوضات. كما حرص على أن يشدّد على أن حرب

حزيران ١٩٦٧، التي تعتبر أنجح حرب خاضتها إسرائيل، تعتبر كارثة كبرى وربما تهدّد وجودها في الصميم، وعلى أن إسرائيل بعد مرور ٤٥ عامًا على تلك الحرب باتت واقفة أمام خيار فحواه: إمّا الاحتلال وإمّا الديمقراطية، ونظرًا إلى حقيقة «أننا لا نتنازل عن الاحتلال فإن نظامنا الديمقراطي يواجه خطرًا كبيرًا».

وبين هاتين النظرتين كشف سريد، في سياق هذه المقابلة الخاصة التي أجريناها معه في بيته في تل أبيب، أنه درج على إجراء «محادثات حميمة من القلب إلى القلب» مع رابين، وكان أبرزها محادثة في القاهرة عشية توقيع الاتفاق مع منظمة التحرير الفلسطينية، وقال له هذا الأخير خلالها إنه توصل إلى الاستنتاج بأن للقوة مهما يبلغ بأسها حدودًا، كما أكد سريد أن رابين ردّد على مسامعه أنه تنازل عن هضبة الجولان.

وتحدث سريد أيضًا عن مقاطعته منتجات المستوطنات في المناطق المحتلة، وكيف واتته فكرة تضمين قصائد لمحمود درويش ضمن منهاج التدريس الإسرائيلي، وسخر من رئيسة حزب العمل وزعيمة المعارضة الحالية شيلي يحيموفيتش التي تقول إنها ستعالج قبل أي شيء آخر المشكلات الداخلية، وفقط بعد ذلك ستتفرغ للشؤون الخارجية، مؤكدًا أنه لا يمكن التفريق بين الأمور السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وأنه يستحيل حل مشكلة اجتماعية واحدة في إسرائيل من دون أن نتحرّر من الحدبة التي اسمها احتلال.

الولادة في رحوفوت وتأثير وطأة المحرقة

يقول سريد:

«ولدت في العام ١٩٤٠، في مدينة رحوفوت. وكان والداي مدرسين. وقد هاجرا إلى البلد في العام ١٩٣٠ من بولندا هربا من هتلر والنازية. والمنطقة التي هاجرا منها كانت حينذاك جزءا من بولندا، وهي اليوم جزء من أوكرانيا. قسم من عائلتي تمكن من الهجرة (إلى فلسطين) قبلهما وبعدهما، لكن هؤلاء كانوا من عائلة أمي بالأساس، كون عائلتها كبيرة وعائلة أبي صغيرة. والذين لم يهاجروا، قُتلوا. اسم عائلتي السابق لم يكن سريد، فهذه كلمة عبرية (تعني بقايا)، بل كان شنايدر، واسم عائلة والدتي كان غروبر. وشنايدر تعني خياطا، وعلى ما يبدو أحد جدودي كان خياطا. وغيّر والدي اسم عائلتنا في نهاية العام ١٩٤٥، أي بعد الحرب العالمية الثانية، إلى سريد، لأنه اعتقد أنه الوحيد في عائلته الذي بقي على قيد الحياة بعد المحرقة. وقد تشاور والدي، الذي كان مربيا، معي في ما إذا كان هذا اسم عائلة ناجحا. كما سألني عما إذا كنت أفهم ما الذي تعنيه كلمة سريد، لكني كنت مذهولا من أنه لم يبق أحد من عائلتي على قيد الحياة سوى أنا ووالدي. وكانت هذه الذكرى الحادة الأولى في حياتي، فكلمة سريد تعني لاجئًا أيضا».

سؤال: هل تعتقد أن موضوع المحرقة أثّر عليك؟

سريد: موضوع المحرقة أثّر على الجميع. ولا شك في أن للمحرقة تأثيرًا بالغًا. والسؤال هو بأي شكل كان هذا التأثير؟. قد يؤثر بهذا الشكل، وقد يؤثر بشكل مختلف تماما. والتأثيرات قد تكون سيئة، وقد تكون جيدة. ومن الجائز جدا أن تكون لذلك تأثيرات قومية، وقد تكون هناك تأثيرات إنسانية. يبقى السؤال الأهم هو: ما هي العبرة التي نستخلصها من المحرقة؟. أعتقد أن التأثير لدي هو أنه في كل لحظة وفي كل مكان ينبغي أن تكون على أهبة الاستعداد وبالمرصاد لأي طارئ، لأن المحرقة كانت جريمة ضد الإنسانية بحجم عالمي وليس محليا. في الوقت نفسه، لا بُد من مراعاة أن الألمان لم يولدوا كي يكونوا قتلة، واليهود لم يولدوا كي يكونوا قتلى. وعموما فإن البشر الأفراد هم أناس طبيعيون وينشدون الخير، إلى أن يأتي زعماء وينفخون فيهم روحا شريرة. وأنا عادة أروي في هذا السياق القصة التالية: في العام ١٩٩٩ – ٢٠٠١ كنت أسكن في بلدة مرغليوت القريبة من الحدود الشمالية. وكان بيتي يبعد مسافة خمسين مترا عن الحدود. ولبنان كان قبالتي على الجبل. وعندما كنت أنظر من النافذة كنت أشاهد رجال حزب الله من مسافة قصيرة. وكنت ألوح لهم بيدي تحية سلام، وبدورهم كانوا يردون عليّ التحية بالحركة نفسها. وكنا نصرخ الواحد تجاه الآخر، وهم كانوا يعرفون تماما من أكون، لأنه تم النشر في وسائل الإعلام آنذاك عن انتقالي للسكنى هناك. وقد اعتقدت طوال الوقت أن هؤلاء الأشخاص هم أشخاص طبيعيون، إلى أن جاء زعماؤهم الحاليون وأثاروا روح الشر فيهم.

سؤال: إنك تتحدث عن نوعين متناقضين من تأثيرات المحرقة، فما هو مصدرهما؟

سريد: إن مصدر ذلك هو التربية قبل أي شيء آخر. وأنا شخصيًا تربيت في البيت على النظر إلى المحرقة من دون أن أفقد إنسانيتي، وكذلك في المدرسة، فقد تعلمت في مدارس متقدمة وليبرالية. وعدا ذلك هناك أسئلة تتعلق بالتاريخ البديل، أي ماذا كان سيحدث، مثلا، لو كان لدى كليوباترا أنف أطول؟. فبعد حرب الأيام الستة (حزيران ١٩٦٧)، وتحديدًا في شهر آب ١٩٦٧، سافرت مع زوجتي وابني البكر إلى الولايات المتحدة للدراسة.

وفي هذه السنوات، المؤسسة والمبلورة، من آب ١٩٦٧ وحتى آب ١٩٦٩، لم أكن هنا وإنما هناك. وقد حدث أمران: الأمر الأول هو أنني تمكنت من النظر إلى الوضع في البلد عن بعد، إذ إن هناك أمورا لا تراها عن قرب. ومن خلال رؤيتي للأمور من هناك لم أفهم ماذا يفعل المجانين هنا. والأمر الثاني وربما الأهم، هو أني تعلمت في حرم جامعي راديكالي. وينبغي أن نذكر أنه في تلك الفترة كانت تنشط حركات الطلاب الاحتجاجية وحركة معارضة الحرب في فيتنام. كانت هذه سنوات متميزة. ففي تلك الفترة قُتل روبرت كنيدي، شقيق الرئيس الأميركي جون كنيدي الذي قُتل قبل ذلك بعدة أعوام. وفي تلك السنوات قُتل مارتن لوثر كينغ أيضا. وأعلن الرئيس جونسون أنه لن يرشح نفسه مرة أخرى. كانت هذه سنوات عاصفة وكان الحرم الجامعي الذي درست فيه عاصفا. وكل هذا ترك تأثيره عليّ.

سؤال: هل كنت نشطاً سياسيًا قبل سفرك إلى الولايات المتحدة؟

سريد: نعم، ولا. فبعد أن تسرحت من الجيش عملت في إذاعة إسرائيل لمدة ثلاث سنوات. بعد ذلك اقترحوا عليّ بشكل مفاجئ، وكان عمري ٢٤ عاما، أن أكون متحدثا باسم حزب مباي. وفي تلك السنوات إذا لم تكن في الستين من عمرك لا يسمحون لك في مباي بالدخول من الباب أصلا. ورأيت أن هذا يشكل عرضًا جيدًا، إذ أنني سأتحدث باسم جميع القادة الكبار في الدولة، دافيد بن غوريون وغولدا مئير وبنحاس سابير ويغئال ألون وموشيه دايان... إلخ. وبعد مرور عام قالوا أني نجحت في عملي. ثم جرت انتخابات عامة، وكانت هذه انتخابات مهمة، لأن بن غوريون خاضها مستقلا، من خلال حزب رافي. وهذا كان يعني أنني سأخوض المعركة الانتخابية كمتحدث باسم مباي ضد رافي. وعقب الانتخابات طلب مني (رئيس الحكومة الجديد) ليفي أشكول أن أكون مستشارا سياسيا له. وكنت حينذاك في الخامسة والعشرين، وهذا منصب محترم جدا. وقد عملت في هذا المنصب لمدة عام وبعد ذلك قدمت استقالتي. أشكول كان رائعا وقد أحببته جدا، فقد كان رجلا نزيها وطبيعيا، لكنه كان يخضع لتأثيرات، وطوال الوقت كان هناك من يهمس أمورا في أذنه. وأنا لم أكن مبنيا لذلك، كنت مدللا، ولذلك تعبت وتركت المنصب. وعندما سافرت إلى الولايات المتحدة لم أكن قد فعلت شيئا يذكر هنا، ولم أكن شخصا مستقلا. رغم ذلك كتبت خطابات مثلا، إلى أن قررت يوما ما بأني سأكتب خطاباتي فقط وليس للآخرين.

سؤال: لقد عملت أيضًا فترة طويلة مع بنحاس سابير...

سريد: الإجابة هنا أيضا هي نعم ولا. كانت بيننا صداقة غريبة من نوعها، بسبب فارق السن الكبير جدا وبسبب كوننا شخصين مختلفين جدا، لكنه أحبني كثيرا وأنا أحببته. وهو اعتقد أنني سأصبح أهم شخص في البلد. وقد أراد دائما أن أعمل معه. لكنني لم أكن خبيرا في الشؤون الاقتصادية والمالية، فقد تم تعيينه وزيرا للمالية وأراد أن أعمل معه. وقد عملت إلى جانبه في معركتي الانتخابات في العام ١٩٦٥ والعام ١٩٦٩، وكان سكرتيرا للحزب حينها. وقد عملت رئيسا للدائرة الإعلامية في كلتا المعركتين الانتخابيتين. كذلك فإنه على مدار عشر سنوات، وهذه فترة طويلة، كنت ألتقي معه في بيته في كفار سابا صباح كل يوم سبت. وكانت علاقتي به متميزة جدا ولم تكن لدي علاقات شبيهة مع أي سياسي آخر. وهي لم تكن مبنية على مصالح ضيقة.

سؤال: هل كانت لدى والدك ميول سياسية؟

سريد: كان والدي منتميًا إلى حزب مباي. وكان رجلا مهما. وقد عبر جميع المراحل في الحزب. وتولى منصب المدير العام لوزارة التربية والتعليم، عندما كان المديرون العامون جديرين بمناصبهم، وعندما كانت وزارة التربية والتعليم جديرة بهذا الاسم. وكان آخر زعيم لتيار العاملين، الذي كان نشطًا في مباي إلى أن ألغاه بن غوريون. وقد حاول قادة الحزب جذب والدي إلى العمل السياسي لكنه رفض ذلك، إذ كان يرى أنه رجل تربية وتعليم ورفض الذهاب إلى الكنيست. وكان والدي راضيًا عن نفسه، سواء عندما عمل أو عندما خرج إلى التقاعد.

سؤال: فيما يتعلق بموضوع المحرقة وتأثيرها، أنت تحدثت عن تأثير قومي متطرف، هل نفهم من أقوالك أنك تلمح إلى جوهر استخدام رئيس الحكومة بنيامين نتنياهو للمحرقة اليوم...

سريد: أنا لا ألمح، بل أقول ذلك بشكل واضح وصريح. لست رجل غمز ولمز، ولو كنت كذلك لربما أصبحت رئيسا للحكومة. استخدام نتنياهو للمحرقة وتشبيه أشخاص بهتلر هما أمران يثيران حنقي. كذلك فإن استخدام المحرقة لأغراض سياسية يثير الغضب. وسأروي لكما قصة، والقصة تكون أحيانا أفضل من الجواب المباشر. لدي ثلاثة أبناء: ذكران بينهما بنت، وجميعهم رائعون وموهوبون. ومثل جميع الأولاد

الألمان لم يولدوا كي يكونوا قتلة واليهود لم يولدوا كي يكونوا قتلى. وعموما البشر الأفراد هم أناس طبيعيون وينشدون الخير، إلى أن يأتي زعماء وينفحون فيهم روحا شريرة

في البلد سافرت ابنتي عندما كانت في المدرسة الثانوية إلى بولندا، إلى معسكري أوشفيتز وبيركناو. وأنا شخصيا اشتركت مرتين في «مسيرة الحياة» (التي تجري في معسكرات الإبادة النازية)، مرة كوزير جودة البيئة، ومرة أخرى كوزير للتربية والتعليم. وينبغي المقارنة بين أقوالي هناك وأقوال آخرين. وعندما عادت ابنتي من هناك، وكان هذا قبل ٢٢ عاما تقريبا، ذهبنا لاستقبالها في المطار. وعندها سألتني: «أبي، هل تعرف أحدا يدعى بيبي، شخصًا اسمه نتنياهو؟». فقلت نعم، أنا أعرفه جيدا. لماذا تسألين؟ فقالت: «أنا لا أريد أن أسمع شيئا عن هذا الرجل بعد اليوم». فسألتها: لماذا؟ ماذا فعل؟، وعلى ما يبدو أنه كان المسؤول الذي ترأس «مسيرة الحياة» في تلك السنة. وقالت: «اسمع، لقد تحدث هناك في أوشفيتز، ولم أتمكن من تحمل أقواله. كانت السياسة في رأسه طوال الوقت. قال إن هتلر هو ياسر عرفات، والفلسطينيون هم نازيون، ويريدون إبادتنا. لم أتمكن من تحمل هذا الأمر ولا أريد أن أسمع شيئا عن هذا الرجل بعد اليوم». وفي حينه لم يفكر أحد بأن نتنياهو سيصبح في يوم ما «كينغ بيبي» (في إشارة إلى التوصيف الذي خلعه عليه تقرير نشرته مجلة «تايم» الأميركية، مؤخرا). هذا جواب عن السؤال. بالتأكيد يتم استخدام المحرقة بشكل يثير الحنق، وها هو قد أثار غضب فتاة في السابعة عشرة من عمرها. ولا أعرف عدد الفتية الذين أثارت أقوال نتنياهو غضبهم، حينذاك.

وعندما كنت وزيرا للتربية والتعليم حاولت إجراء بحث حول تأثير المحرقة في أعقاب هذه الرحلات المدرسية إلى بولندا. وكانت النتيجة واضحة جدا. كل واحد يعود معززا بالأفكار التي حملها عندما سافر إلى هناك، أي أن هذا لا يغير الآراء القائمة وإنما يعززها. فإذا خرجت قوميا – تعود قوميا أكثر. وإذا خرجت إنسانيا – تعود إنسانيا أكثر. وهذا هو المهم.

ورطة الاحتلال ومقاطعة منتجات المستوطنات

سؤال: ما هي أهم الاستنتاجات الفكرية التي تكونت لديك في أعقاب حرب الأيام الستة في العام ١٩٦٧؟

سريد: عندما كانت نشوة الانتصار الإسرائيلية في أوجها، لم أكن شريكا فيها. كنت شابا. وعموما عندما تكون هناك نشوة لأي سبب كان، فأنا لا أشارك فيها. وأذكر أنه عندما وصلت النشوة إلى أوجها، بعد احتلال القدس والصراخ هنا بأن «جبل الهيكل في أيدينا»، قلت لنفسي أننا تورطنا. والحقيقة هي أني لم أتخيل إلى أي مدى تورطنا، لأني لم أتخيل أن يبقى الاحتلال لمدة ٤٥ سنة. وأن يصبح هناك أكثر من ٢٥٠ ألف إسرائيلي مستوطن. وهذا بالتأكيد ليس تغييرا للأفضل بالنسبة إلى إسرائيل، على ما أعتقد. وهناك جملة شهيرة كان يستخدمها سابير، وقد كان أبو الحمائم في إسرائيل، وهذه الجملة هي: «إلى أن نتمكن من السيطرة على المناطق (المحتلة) فإن هذه المناطق ستسيطر علينا»، وأنا كتبت هذه الجملة في خطاب لسابير في العام ١٩٦٩. وكتبت الكثير عن حرب الأيام الستة. وهذه الحرب التي تعتبر حربا ناجحة للغاية وحققت فيها إسرائيل النصر الأكبر وما إلى ذلك، تبين أنها كارثة كبرى وقد تهدد وجود دولة إسرائيل في الصميم. ليس صدفة أن أي دولة في العالم كان لديها سلطة احتلال في مكان ما، وصلت إلى اللحظة التي تعين فيها عليها أن تقرر عما ستتنازل، إما عن الاحتلال وإمّا عن الديمقراطية. والاحتلال والديمقراطية لا يسيران معا. وجميع الدول المتنورة والديمقراطية تنازلت عن الاحتلال من أجل إنقاذ الديمقراطية. ونحن لا نتنازل عن الاحتلال، ولذا فإن نظامنا الديمقراطي يواجه خطرا كبيرا. ورغم أن إسرائيل توصف كدولة يهودية وديمقراطية، بإمكاني أن أقول لكما إن إسرائيل غير الديمقراطية لن تتمكن من البقاء. ولذا فإن رؤيتي ليست متفائلة، وليس لدي أي توقعات متفائلة يمكنني أن أطرحها أمامكما. هناك أشخاص، وهم أصدقائي وهم جيدون،

الزعيم الراحل ياسر عرفات يصافح سريد.

كانوا دائما ضد المستوطنات، لكن دائما كانت لديهم مرحلة تبنوا فيها مقولة خطأ ما. واحد قال إنه ضد المستوطنات لكن لا بأس ببقاء مستوطنة أريئيل. وآخر قال إنه ضد المستوطنات لكن لا بأس ببقاء الأحياء (الاستيطانية) وراء الخط الأخضر في القدس. أو أنه ضد المستوطنات لكن غوش عتسيون لا بأس، أو الغور لا بأس. لدي لن تجد أي لا بأس. لقد عارضت المستوطنات لأنني رأيت فيها العقبة الأكبر أمام أي تسوية بيننا وبين جيراننا. وأقصد جميع المستوطنات وفي جميع الأوقات ومن دون أي استثناء. عندما كنت شخصا رسميا، وزيرا للتربية والتعليم، كان اليهود، وبضمنهم المستوطنون، والعرب متساوين في نظري. وكان لدي عمى ألوان كون الأولاد غير مذنبين بأي شيء. لكن اليوم، وفيما أنا مواطن عادي، لا أرى الأمور على هذا الشكل. ومنذ وقت طويل لم أتجاوز الخط الأخضر، كما أنني لا أشتري بضائع من صنع المستوطنات.

سؤال: هل تقاطع منتجات المستوطنات مثلما فعلت جنوب إفريقيا مؤخرا؟.

سريد: نعم. وأنا لا أفهم الضجة التي تفتعلها إسرائيل ضد جنوب إفريقيا. فهم لا يقاطعون إسرائيل، ولا حتى منتجات المستوطنات. وكل ما قاله الجنوب إفريقيون هو أنهم يريدون وضع إشارات على منتجات المستوطنات من أجل أن يتعرف عليها المستهلك، وإذا ما أراد أن يشتريها فليفعل. وهذه مسألة نزاهة تجارية. أنا لا أشتري منتجات المستوطنات لأني لا أريد تقويتها وتقوية اقتصادها. وسمعت أخيرا أن الدانماركيين يريدون وضع إشارات على منتجات المستوطنات في حوانيتهم. وهذا أمر مشابه، فهم لا يقاطعون إسرائيل ولا بضائعها، ولكن إذا ما أراد المستهلك هناك ألا يشتري منتجات المستوطنات فسيكون بإمكانه فعل ذلك من خلال وضع إشارة عليها، أي أنه لا ينبغي تضليل المستهلك.

سؤال: لكن المستوطنين أصبحوا الآن جمهورا أكبر، ويزيد عددهم عن نصف مليون، سواء في الضفة الغربية أو في القدس الشرقية...

سريد: هذا منوط بكيف يتم إحصاؤهم. أعتقد أنه في القدس (الشرقية) انتهى الأمر، والحل يجب أن يكون وفق مبدأ الأحياء اليهودية لليهود، والأحياء الفلسطينية للفلسطينيين. أنا لا أتحدث الآن بشكل مبدئي وإنما بشكل واقعي. من ناحيتي بالإمكان طرد الجميع من الأحياء اليهودية في القدس الشرقية، لكن هذا ليس واقعيا، خاصة وأنني لا أعرف أيضًا كيف سيكون بالإمكان إخلاء مستوطنات في الضفة. ولهذا السبب أوجدنا معادلة تبادل الأراضي، أي أن تتنازل من أجلي عن ٢ بالمئة من أراضي الضفة وسأعوضك في مكان آخر، إذ أنه يتم فرض وقائع على الأرض وتوجد صعوبة في إزالتها. وسيكون هذا عندما نصل إلى اليوم الذي نتفق فيه على تسوية لحل الصراع، إذا ما جاء هذا اليوم أصلا. وبناء على تلك الوقائع يتزايد عدد الذين يتحدثون عن دولة واحدة للشعبين بدلا من دولتين للشعبين. لكن يبدو لي أن هذه الفكرة سيئة جدا.

«حرب الأيام الستة»، التي تعتبر حربا ناجحة للغاية وحققت إسرائيل فيها النصر الأكبر، وما إلى ذلك، تعتبر كارثة كبرى وقد تهدد وجود دولة إسرائيل في الصميم

سؤال: لماذا؟

سريد: في الظاهر تبدو فكرة الدولة الواحدة للشعبين رائعة. لكننا لا نعيش في واقع يتيح إمكان تحقيقها. وبرأيي نموذج الدولة الواحدة، وهي ليست دولة قومية، وإنما دولة ثنائية القومية، لن يصمد. هذه وصفة لكوارث. وحتى في المناطق التي تم فيها تطبيق نموذج كهذا فإنه تفكك. وهناك أماكن ما زال هذا النموذج قائما فيها ويريدون تفكيكه. ففي دولة مثل إسبانيا يطالب الكتالونيون بالاستقلال، وكذلك الباسكيون. وحتى في بريطانيا، وهذا ليس مشابها لوضعنا بالضبط، وليت حالنا مثل حال بريطانيا، يطالب الاسكتلنديون بالانفصال. وإيرلندا هي مثال أيضا في هذا السياق. والتفكير بأنه في بلادنا بالذات، ومع كل تاريخنا البائس والترسبات والشحنات، سينجح نموذج الدولة ثنائية القومية، بينما فشل في كل الأماكن الأخرى، يستلزم قدرا كبيرا من السذاجة. ومع ذلك هناك جهات في اليمين، أشخاص قوميون، أصبحوا يتأتئون بأقوال تدعو إلى حل الدولة الواحدة. وإذا ما نظرنا إلى الوضع الديمغرافي القائم اليوم، نرى أننا نحن اليهود نعد ٦ر٥ مليون نسمة، والفلسطينيون ٥ ملايين حاليا، في الضفة والقطاع والعرب في إسرائيل. هذا يعني أن الوضع الآن يقترب من المساواة. وبعد وقت سيصبح العدد في الجانبين متساويا. هل تعتقدان أنه سيتم إعطاء مواطنة متساوية للجمهور الفلسطيني؟ وأنه سيجلس في الكنيست ٧٠ نائبا يهوديا و٥٠ نائبا فلسطينيا؟ وعندما يتساوى الميزان الديمغرافي يصبح ٦٠ نائبا لهؤلاء و٦٠ نائبا لأولئك؟ هذا ليس جديا. هناك نية أخرى (لدى اليمين الإسرائيلي) وهي إقامة دولة واحدة لشعب واحد، أي للشعب اليهودي، وليجد الفلسطينيون ترتيبا لهم، فإما ألا يكون لهم كيان قومي أبدا، ويقولون لهم انتخبوا في الأردن، وإمّا أن يتم منحهم حكما ذاتيا، لنعود إلى فترة الحكم الذاتي في عهد بيغن. لكن العالم، الآن، يستند كله إلى نموذج الدول القومية. هكذا هو النظام العالمي. وربما يتغير هذا النظام في نهاية المطاف. وأنا سأكون أول الذين يفرحون عندما يتحقق هذا. وعندما تُلغى أول دولة قومية ستكون إسرائيل والفلسطينيون الدولة الثانية. نحن أسأنا الواحد للآخر بما فيه الكفاية، ودعونا لا نستمر في حالة التدخل في حياة بعضنا البعض. أنا أدرك أن حل الدولة الواحدة هو حل نابع من اليأس. وأنا أتفهم أولئك الذين يطرحونه. قالوا لي إن أبو العلاء (أحمد قريع) أعلن مؤخرا أنه لا حل سوى حل الدولة الواحدة للشعبين. لكنني أعرف أبو العلاء منذ سنوات طويلة وأعرف أنه عارض هذا الحل، وكان من أكبر مؤيدي حل الدولتين. والآن هو يطرح فكرة الدولة الواحدة لأنه يئس. وليس صدفة أنه يئس. فالإسرائيليون والفلسطينيون يدفعونه إلى هذا اليأس، وربما يدفعه الإسرائيليون إلى هذه الحالة أكثر من الفلسطينيين. واليأس يولد حلولا ليست جيدة، وهو عموما مستشار سيء.

لا يوجد أي احتمال لحل في الوقت الراهن رغم توفر الحل

سؤال: هل تتوقع حلا من أي نوع كان في الأفق المنظور؟

سريد: ليس الآن. لا يوجد أي احتمال لحل في الوقت الراهن. غير أنه بطبيعة الحال يوجد حل، لكن ليس هناك من يمكنه تطبيقه. توجد على الطاولة مبادرة السلام لجامعة الدول العربية المدرجة منذ أكثر من عشر سنوات. وهذه أفضل مبادرة. وتتضمن كل ما حلمت به إسرائيل طوال السنوات الماضية. لكن إسرائيل لم تتطرق إليها بشكل جدي. دائما بالإمكان إجراء تعديلات على اتفاق بين أطراف. فالتسويات هي ليست أمرا سيئا، شريطة ألا تكون عفنة، بمعنى ألا ألوي ذراعك من أجل أن توافق على التسوية، لأنه في هذه الحالة لا تكون هذه تسوية وإنما إملاء. لكن إذا اتفق الجانبان على حل أو تسوية على أساس حدود العام ١٩٦٧ مع تقسيم القدس، فسيكون هذا هو الأساس للمفاوضات.

استخدام نتنياهو للمحرقة وتشبيه أشخاص بهتلر أمران يثيران حنقي. كذلك فإن استخدام المحرقة لأغراض سياسية يثير الغضب

سؤال: حدثنا عن مرحلة انتقالك من حزب العمل إلى حزب ميرتس.

سريد: أريد في البداية أن أقول شيئًا عن حزب العمل. في العادة يترك أشخاص حزبا لأنه مكان سيء بالنسبة لهم، أو لأنه لم يتم انتخابهم من خلاله، أو لأنهم لا يتوقعون أن يتم انتخابهم من خلاله، وعندها يبحثون عن ملجأ آخر. وفي حالتي كان الوضع معاكسا تماما. كان وضعي رائعا في حزب العمل. ورغم أن الجميع في الحزب لم يتفقوا مع آرائي، إلا أن علاقتي مع الجميع كانت جيدة جدا وبالإمكان إثبات ذلك. وكنت أستمتع من أنه بمجرد أن أبدأ الحديث كان الجميع في الحزب يتململون من أقوالي، وبينهم غولدا مئير. كان الأمر مسليا. ولم تكن لدي مشكلة مع هذا الأمر. لكن، حقيقة هي أنه انتخبت أربع مرات للكنيست من خلال حزب العمل، رغم أنهم لم يحبونني، وأقول هذا لصالح حزب العمل. وليس فقط أنني انتخبت وإنما في المرة الأخيرة، عشية انتخابات العام ١٩٨٤، كان الاثنان اللذان حصلا على أعلى نسبة أصوات في الانتخابات الداخلية في الحزب هما إسحق رابين وأنا. وحصلت حينها على تأييد حوالي ٨٠ بالمئة من المصوتين. ومن عدة نواح كنت مدللا. لكن عندما سألوني خلال الحملة الانتخابية في العام ١٩٨٤، ماذا سأفعل في حال تشكيل

اسرائيل ٢٠١٢: مواصلة التدحرج يميناً.

التفكير في أنه في بلدنا بالذات، ومع كل تاريخنا البائس والترسبات والشحنات، سينجح نموذج الدولة ثنائية القومية، بينما فشل في كل الأماكن الأخرى، يستلزم قدرًا كبيرًا من السذاجة

حكومة وحدة وطنية بين العمل وحزب الليكود، أي مع إسحق شامير وأريئيل شارون، وكانت إمكانية كهذه موجودة في الأفق، قلت إنني لا أعتقد بأنني سأبقى في حزب العمل في هذه الحال، لأنني لا أوافق على ذلك بأي شكل من الأشكال. وجرت الانتخابات وتم بعدها تشكيل حكومة تكتل قومي. وأنا رفضت أن أصوت لإسحق شامير كرئيس للحكومة، ورفضت أن أجلس مع شارون في حكومة واحدة. وكان هذا في منتصف حرب لبنان الأولى، أي أن التوقيت لم يكن سهلا أبدا بالنسبة لي، فقد كنت أول المعارضين الشديدين لها. وقلت إن هذا الأمر ليس واردا في الحسبان بالنسبة لي. وهناك أشخاص يعتقدون حتى اليوم أنني اقدمت على خطوة غبية عندما انشققت عن حزب العمل، وربما هم محقون. لكن زوجتي تقول لي دائما: «يوسي، لأنني أعرفك جيدا، فإنك لو لم تنشق في العام ١٩٨٤، لانشققت عشر مرات عن حزب العمل بعد ذلك». وأعتقد أنها على حق. بالإمكان القول عني كل شيء، وبعض هذه الأشياء قد تكون صحيحة أيضا، لكن ما لا يمكن قوله عني هو أنني غبي. ولا شك في أن الانتقال من حزب كبير، كحزب العمل الذي أعطاني الكثير، إلى حزب صغير، هو أمر يشبه الانتقال إلى «صحراء سياسية». لكنني شعرت حينها بأنه لا يمكنني الموافقة على التواجد في حكومة واحدة مع اليمين.

سؤال: في فترة معينة لم يكن ميرتس حزبا صغيرا كما هي حاله اليوم؟

سريد: كان ميرتس في حينه، بمصطلحات إسرائيلية، حزبا متوسطا. وبالمناسبة أنا لم أنتقل إلى ميرتس وإنما إلى حزب راتس. وهذا كان حزبا صغيرا جدا لديه أربعة أو ثلاثة نواب في الكنيست. واعتقدت في حينه أن وجود ثلاثة أحزاب يسارية صغيرة، وهي راتس وشينوي ومبام، هو أمر مبالغ فيه. وبعد ذلك توحدت الأحزاب الثلاثة وشكلت حزب ميرتس. وفي انتخابات العام ١٩٩٢ حصل هذا الحزب على ١٢ مقعدا في الكنيست، وكان برئاسة شولاميت ألوني. وفي انتخابات العام ١٩٩٩ حصل على عشرة نواب، وهذا أمر مهم.

سريد ورابين... خصومة فصداقة

سؤال: إبان فترة أوسلو، راجت في أوساط أنصار السلام آراء تفيد بأنه لن يُكتب لإسرائيل حكومة مثل حكومة رابين، التي تألفت من تحالف حزبي العمل وميرتس، وخصوصًا فيما يتعلق بموقفها من عملية التسوية السياسية؟

سريد: هذا صحيح. فما حدث في حينه لا يصدق، حيث حصل حزب العمل على ٤٤ نائبا في الكنيست، وحصل حزب ميرتس على ١٢ نائبا. وسوية مع الأحزاب العربية أصبحنا نشكل أغلبية في الكنيست مؤلفة من ٦٦ نائبا. ولم نكن بحاجة إلى أي شركاء من أحزاب اليمين. كان هذا فعلا وضعا استثنائيا وغير مألوف. بالمناسبة أريد أن أقول هنا ملاحظة جانبية أو هامشية حول تقدير لم أوافق عليه أبدا، مؤداه أنه كلما ساء وضع حزب العمل أصبح وضع ميرتس أفضل. هذا ليس صحيحا أبدا، فطوال الطريق، عندما نجح حزب العمل نجح ميرتس أيضا. وعندما فشل حزب العمل فشل ميرتس. وربما يعود سبب ذلك إلى أنه في اللحظة التي يسود فيها الشعور بأن حزب العمل سيحصل على أصواته كاملة، ولن يتضرر، يسمح الناس لأنفسهم بالتصويت لحزب ميرتس أيضا. وكلما كان حزب العمل في ضائقة، فإن ميرتس يكون أيضًا في ضائقة.

وبالعودة إلى السؤال الأصلي، فعلا لم يكن بالإمكان أن تكون هناك حكومة أفضل من حكومة رابين التي شكلها في العام ١٩٩٢.

ورابين كان ثعلبا. وأنا انضممت إلى هذه الحكومة بعد تشكيلها بثلاثة شهور، لأن رابين لم يردني في الحكومة. ولقد قام بعدة حيَل،

هناك نية أخرى (لدى اليمين الإسرائيلي) هي إقامة دولة واحدة لشعب واحد، أي للشعب اليهودي، وليجد الفلسطينيون ترتيبا لهم، فإما ألا يكون لهم كيان قومي أبداً، ويقال لهم انتخبوا في الأردن، وإما أن يتم منحهم حكما ذاتيا

اشترك فيها زملاء لي، من أجل ترتيب الأمور بحيث لا أدخل إلى الحكومة. وأقول بتواضع إن هذه الحيل كانت واضحة لي، لأني كنت أكثر شخص مركزي في ميرتس. وفي حينه كان هناك ترتيب داخل ميرتس، يقضي بأن يحتل رؤساء الأحزاب الثلاثة السابقة التي يتكون منها ميرتس الأماكن الثلاثة الأولى في قائمته الانتخابية. وأنا لم يزعجني أن أكون في المكان الرابع. لكن مكانتي لم تكن نابعة من موقعي في قائمة الحزب. والحيلة كانت أنه تم إدخال الثلاثة الأوائل في القائمة إلى الحكومة والرابع استثني.

وأذكر أنه في أحد الأيام بقيت في البيت مع ابني الصغير. وكنا نشاهد في التلفزيون مراسم تنصيب الحكومة وأداء الوزراء يمين الولاء في الكنيست. وعندها سألني ابني: «أبي، إذا لم تكن في هذه الحكومة، فبأي حكومة ستشترك؟». ورابين نفسه لم يرغب في وجودي في الحكومة بسبب خلافات دبّت بيننا في الماضي. فقد كانت هناك نقاشات فيما بيننا، بالأساس من فترة الانتفاضة الفلسطينية الأولى، عندما صرح رابين بأنه يجب تكسير عظام الفلسطينيين. وقد وجهت له انتقادات شديدة حينها من على منصة الكنيست، وقلت له «أنت وزير دفاع سيء». كذلك جرت نقاشات بيننا إبان حرب لبنان الأولى. فرابين عارض الحرب في البداية، لكنه بعد ذلك رافق شارون وسافر معه إلى بيروت. كذلك أسدى نصائح إلى شارون بشأن تشديد الحصار. وعلى أثر ذلك جرت نقاشات شديدة بيننا. لذلك لم يرغب في وجودي في حكومته. لكن بعد عدة أسابيع من تشكيل الحكومة، كان ملزما بالاجتماع معي بين حين وآخر لأني كنت رئيس كتلة ميرتس البرلمانية. وهذا الوضع سمح لنا بالالتقاء بين حين وآخر. وعندها بدأ رابين يسأل المقربين منه عما إذا كان بالإمكان الاعتماد عليّ. وقالوا له إن هذا ممكن وأن بإمكانه أن يتصالح معي. وفي أحد الأيام اتصل رابين بي وبلغني بأنه يريد أن أنضم إلى الحكومة. فأجبت بالإيجاب. وسألني عن رأيي بتولي منصب وزير شؤون البيئة، فأجبت بأنني مرتبط بهذا الموضوع، وأنه لا توجد أي مشكلة لدي في تولي هذه الحقيبة. هناك قاعدة أساس في مجال المسرح تقول إنه لا توجد أدوار صغيرة، وإنما يوجد ممثلون صغار. وعندما دخلت إلى الحكومة حدث تحول بيننا بمقدار ١٨٠ درجة، وأصبحت أكثر شخص في الحكومة مقربا من رابين. وكان يستشيرني في أي موضوع. وهو أصر على أن أكون عضوا في طاقم المفاوضات مع الفلسطينيين، الذي ضم ثلاثة أشخاص، هو ووزير الخارجية في ذلك الوقت، شمعون بيريس، وأنا. وتم هذا رغم استياء الوزراء من حزب رابين. وعندها أصبحت هناك عبارة متداولة هي أن «رابين تمرتس» (أي أصبح يحمل الأفكار السياسية لحزب ميرتس). لكن رابين لم يحب هذه العبارة.

وكثيرا ما تم طرح السؤال: ما الذي حدث لرابين؟ هل أصبح من حزب ميرتس؟ الحقيقة هي أنه حدث لديه انقلاب في أفكاره. وقد قال لي ذلك. ولا يتعين علي أن أتكهن لأنه هو بنفسه قال لي هذا. وأنا أذكر متى قال. لقد قال عدة مرات، لكنني أذكر جيدا مناسبة مميزة، وذلك عندما سافرنا إلى القاهرة للتوقيع على اتفاق مع عرفات، ورفض عرفات حينها التوقيع وحدث حرج كبير. وقد تواجدنا، الحاشية الفلسطينية كلها والحاشية الإسرائيلية كلها، في قصر حسني مبارك. وبدأوا يصوغون التفاصيل الأخيرة للاتفاق. وكان مبارك يذهب إلى النوم مبكرا. لكن تعين علينا أن نبقى يقظين طوال الليل. وقد أرسلوا بيريس إلى مبارك كي يبقى الرئيس صاحيا. وفجأة وجدنا نفسينا، أنا ورابين، عاطلين عن العمل، نجلس وحدنا في غرفة كبيرة للغاية في القصر. وكان يدخل أحد ما بين الحين والآخر. وكلانا مدخنان. وفجأة انتهت السجائر التي معنا. فقال رابين إنه سيذهب للبحث عن سجائر، لكنني تطوعت للبحث عن سجائر بدلا منه. وفعلا أخذت سجائر من حارس في القصر. ولعلمكما، رابين لم يكن رجل محادثات عميقة، وخصوصا محادثات حميمة من القلب إلى القلب. لكنني أجريت معه محادثات كهذه، لأنه في تلك الليلة كان لدينا متسع كبير من الوقت. وكل مرة أذكر هذه المحادثة يقشعر بدني. وقال لي في تلك الليلة حرفيًا ما يلي: «يوسي، سأقول لك ما هي النتيجة التي توصلت إليها. إن الشعب لا يمكنه أن يُجهد

ثمة أمور يمكنني أن أتكهن بها، وثمة أمور أخرى أعرفها بشكل حقيقي. رابين تنازل عن هضبة الجولان، وأنا أعرف هذا بكل تأكيد لأني سمعت ذلك منه

عضلاته أكثر مما ينبغي، ونحن نجهد عضلاتنا منذ عشرات السنوات، وفي النهاية لا بُدّ من أن تتعب العضلات. الأمر الثاني، هو أن جيشنا ممتاز، لكن الجيش أيضا لا يمكنه أن يعرض أكثر مما يمكن لأفضل جيش في العالم أن يقترح. وأنا لا أريد أن أضع الجيش الإسرائيلي أمام امتحانات ليست ضرورية، لا أريد أن أضع الجيش الإسرائيلي في امتحانات تكون فيها خيارات. وقد أخذت على عاتقي التدقيق في أي احتمال، مهما يكن صغيرًا، وطرق جميع الأبواب كي أكون واثقا من أني فعلت كل شيء من أجل الوصول إلى تسوية».

أنا لا أقول إنه لا يمكن خداعي. وبالإمكان القول عن رابين أمورا كثيرة، لكنه لم يكن محتالا. وحتى ألد أعدائه لم يقولوا عنه إنه محتال، بل على العكس. كانوا يقولون إن مشكلتهم معه هي أنه يقصد ما يقول. وعندما قال وجهة نظره هذه قررت أن أساعده بأقصى ما أستطيع، وحتى لو اضطررت إلى التنازل عن شيء ما، وأنا لست معروفا بأنني أتنازل بسهولة. لكنني قررت أن أتنازل عن أمور كثيرة من أجل أن أسهل الأمور عليه. ولقد كانت بيننا علاقات جيدة وكنت أزوره في بيته كثيرا. وأنا لست زائرا دائما في بيت أي سياسي. كما أن السياسيين لا يزورونني في بيتي. وزملائي هم رفاقي في العمل، والطريق، لكنهم ليسوا اصدقاء شخصيين لي. أصدقائي قليلون وهم ليسوا من الوسط السياسي.

ثمة أمور يمكنني أن أتكهن بها، وثمة أمور أخرى أعرفها بشكل حقيقي. ومن هذه الأمور الأخيرة أيضًا أن رابين تنازل عن هضبة الجولان، وأعرف ذلك بكل تأكيد لأني سمعت هذا الأمر منه. لقد أبلغني بما قاله للأميركيين وأية وديع منحها لهم، ولا أحد يمكنه أن يروي لي أساطير في هذا الصدد. لكنني لم أسمع منه عما كان يفكر فيه بشأن القدس. لكن من خلال قناعته الداخلية، أنا متأكد أنه كان سيمضي بعيدا. فقد كان يدرك أنه في بداية الطريق وحسب، وأن نهاية الطريق بعيدة جدا. وكان يدرك إلى أين ستؤدي هذه العملية. وكان يدرك ما هي الشروط الضرورية من أجل التوصل إلى تسوية بيننا وبين الفلسطينيين.

سؤال: هل كان رابين يخشى من تشكل خطر على إسرائيل جراء استمرار الاحتلال؟

سريد: هذا أمر مؤكد ولا لبس فيه.

سؤال: وهل الوضع القائم الآن هو نتيجة لاغتياله؟

سريد: من المنطقي أن نقول هذا، فلقد قُتل. ونحن درجنا على القول في مراسم إحياء ذكراه إن الرجل قُتل لكن طريقه لم تُقتل. غير أن طريقه قُتلت أيضًا. ومن المنطقي القول كذلك إن الوضع كان سيبدو مختلفا لو بقي رابين على قيد الحياة. فقد كان هناك شمعون بيريس (الذي خلف رابين)، وكعادته طبخ مسألة الانتخابات (بعد شهور معدودة)، وصعد نتنياهو إلى سدة الحكم. وكل وجود نتنياهو كان من أجل إحباط الاتفاقيات. وقد نجح بقدر كبير في تحقيق ذلك.

سؤال: فترة كامب ديفيد العام ٢٠٠٠ كانت فترة مهمة وخطرة، كيف تلخصها؟ وما هي برأيك أبرز تداعياتها؟

سريد: حسنا. بداية إليكم قصة أشبه بقصص ألف ليلة وليلة. إنها قصة السرير، وينبغي أن تدخل في إطار القصص الكلاسيكية. أنا، كوزير في حينه، عارضت عقد مؤتمر القمة في كامب ديفيد. وذهبت عندها إلى (رئيس الحكومة الإسرائيلية إيهود) باراك وقلت له «لا تذهب إلى هذا المؤتمر». ورد عليّ مستغربًا قولي هذا. وأوضحت له أن هذه القمة ليست جاهزة وأنها ثمرة غير ناضجة، مثل الحصرم. وسيكون فشلها مدعاة لبكاء الأجيال سنوات طويلة. وسيتم تدمير كل شيء. كل هذه القمة ليست جاهزة، وخاصة موضوع القدس ليس جاهزا. وأضفت: إن ما تقترحه جيد، لكن عرفات لا يمكنه قبوله. وأنت لا تقترح ما يمكن أن يقبل به عرفات. لا جدوى من الذهاب إلى القمة إلا إذا تم تجهيزها مسبقا. لكن باراك لم ينصت إلي. ولم أكن الوحيد الذي حذر باراك.

وهناك فيلم رائع أعرضه أمام الطلاب في الجامعة، وهو فيلم وثائقي يتحدث عن الانتفاضة. ويظهر في الفيلم أشخاص معروفون، وهم أيضا يقولون لباراك أمورا مشابهة لتلك التي

قلت لباراك ألا يذهب إلى قمة كامب ديفيد في العام ٢٠٠٠ لأنها ليست جاهزة ولكونها ثمرة غير ناضجة، حصرمًا، ولكون فشل القمة سيكون مدعاة لبكاء الأجيال سنوات طويلة، وسيتم تدمير كل شيء... لكن باراك لم ينصت إليّ، ولم أكن الوحيد الذي حذر باراك من مغبة هذا الأمر

قلتها له. حسنا، في نهاية المطاف، هو لم يستمع للنصائح وقرر الذهاب إلى قمة كامب ديفيد. عندما قرر الذهاب إلى القمة، كنت رئيس حزب ميرتس. ورغم كل شيء يوجد لهذا الحزب حصة في كل ما يتعلق بالسلام. وكان باراك يقول لي طوال الوقت إنه يريد أن أذهب معه إلى القمة. وأنا لم أرغب في الذهاب معه، لأنه عندما أكون هناك لن أتمكن من مناقشة رئيس حكومتي. وينبغي أن أحافظ على الزمالة بيننا. ورأيت أن ثمة أمورا ستطرح هناك ولن يكون بإمكاني الموافقة عليها أو تأييدها. كذلك فإنه عندما نعود إلى البلاد سيتعين عليّ أن أدافع عن باراك. فلماذا عليّ أن أفعل ذلك؟ لكن ما حصل هو أن رفاقي في ميرتس كانوا يحثونني على السفر معه. واعتبروا أنه ليس واردا في الحسبان ألا أسافر. وهم لم يفكروا مثلي. وقالوا لي إنه ليس معقولا عقد مؤتمر سلام من دون أن يكون حزب ميرتس حاضرا فيه. ونحن شركاء مهمون في الحكومة، ونحن مرتبطون بهذه الأمور ربما أكثر من أي حزب آخر. عندها قلت لباراك: حسنا، إذا أردت أن أسافر معك فإنني سأسافر. لكن قبل أسبوع من السفر لم يتحدث معي أحد ولم أسمع شيئا عن القمة.

وبدأت أشك في أن شيئا ما هنا ليس على ما يرام. وكنا سنسافر ليلة يوم الأحد. ومر يوم الاثنين الذي سبق السفر، وبعد ذلك مرّ يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء ولم يتصل بي أحد للتحدث عن السفر والقمة. وأنا كنت متأكدا من أن مشاورات جارية، وأنا خارج هذه المشاورات. لم أكترث، لأني لم أرغب في السفر، لكن رفاقي كانوا مهتمين. واتصلت بجومس (كنية عضو الكنيست والوزير في حينه حاييم أورون من حزب ميرتس). وهو سألني ما إذا كان باراك قد تحدث معي. قلت لا. فاستغرب. وقلت له إني أرجوه جدا باسم الصداقة التي بيننا وأتوسل إليه ألا يتحدث مع ديوان رئيس الحكومة ويصرخ عليهم هناك لأنهم لم يتحدثوا معي، وعندها سيرغمهم على التحدث معي. وقد وعدني بألا يفعل ذلك. لكن بعد عدة ساعات، وكان الوقت ما زال ظهيرة يوم الجمعة، تلقيت اتصالا هاتفيا من ديوان رئيس الحكومة، وأبلغوني بأن رئيس الحكومة يريد أن يلتقي بي في ديوانه في القدس. وحاولت أن أتهرب من اللقاء والقول أنه لا جدوى منه وأنه يصعب علي السفر من بلدة مرغليوت في أقصى الشمال إلى القدس.

حاولت التهرب، لأني كنت أدرك تماما أنه لا تتم دعوتي إلى لقاء مع باراك مساء السبت من أجل التحدث عن السفر في اليوم التالي، وإنما للتحدث عن أسباب عدم سفري إلى مؤتمر القمة. لم أنجح في التهرب من اللقاء، وذهبت إلى ديوان رئيس الحكومة. وقررت ألا أذكر كامب ديفيد خلال اللقاء مع باراك. وتحدثنا، وأنا لا أذكر الآن عما تحدثنا. وفي النهاية فقدت صبري وبدأت أتململ في مقعدي والقيام بحركات تشير إلى أني على وشك المغادرة. وقد فهم باراك أنني سأنهض، فقال: «لحظة يا يوسي، لقد نسيت. اسمع، أردت أن أقول لك لماذا أنا آسف جدا على عدم تمكنك من السفر معنا». فقلت في قرارة نفسي بأني سأصعب الأمور عليه، ولكن بهدوء. وسألته: «حقا؟! لماذا لا يمكنني السفر؟». وأجاب باراك: «لم يبق أي سرير في كامب ديفيد». نظرت إليه نظرة ذات دلالة وقلت له: «ايهود، أنت تهينني. ألم تجد سببا أفضل من السرير؟ يوجد لدي في البيت سرير متنقل. وإذا لم يكن هناك سرير في كامب ديفيد بإمكاني أن آخذ سريري معي». فقال إن المسألة لا تتعلق بالسرير وإنما بعدم وجود غرفة خالية. فقلت: «اسمع يا إيهود، أنا وزير في حكومتك، وعموما لا أميل إلى إقحام أمور شخصية في العمل. وعلى كل واحد منا أن يقوم بعمله على أفضل وجه. لكن في كل ما يتعلق بالعلاقات الشخصية بيننا ليست لدي علاقات معك. وقد فقدت الاهتمام بك. ولست معنيا بالنقاش معك». وبعد أن استمع إلى كلماتي هذه اصفر وجهه وقمت وغادرت الديوان. وبعد حين، تأكدت أنني كنت على حق. لماذا يتعين عليّ أن أتحمل الشراكة معه في كامب ديفيد. ومن الجهة الأخرى فإن هذه شهادة على

شخصية باراك المريبة.

سؤال: أليس من الجائز أيضا أن باراك كان مقتنعا مثلك بأن هذه القمة ليست جاهزة بالشكل الصحيح، وأنه قرر الذهاب إليها بنية مسبقة لتفجيرها؟

سريد: بعد أن حدث ما حدث، فإن روايته ملائمة لروايتكما. وعمليا هو قال إنه لم يتنازل عن شيء وأنه «سافر إلى القمة من أجل أن ينزع القناع عن وجه عرفات الحقيقي». وإذا كان قد قال هذا بنفسه، فعلى ما يبدو أن ما تقولانه ليس بعيدا عن الحقيقة. ربما كان قد خطط هذا من أجل أن يقنع الجمهور في إسرائيل، إذ قال بعدها: هل ترون، ليس هناك من يمكن الجلوس معه (في الجانب الفلسطيني)؟. وربما اعتقد أن الفلسطينيين سيقبلون اقتراحه. فقد قال لي أنه بمجرد أن يطرح اقتراحه فإنه سيتم التوصل إلى اتفاق خلال خمس دقائق. وأنا لا أعرف ما إذا كانت لديه نية مبيتة أم أنه أطلق تصريحه بأنه ليس هناك شريك فلسطيني، بعد أن حدث ما حدث في القمة. لكن هذا لا يغير شيئا. فهو قفز إلى بركة من دون أن يفحص ما إذا كان يوجد فيها ماء أم لا وكسر رأسه. وأنا لا يهمني أن يكسر رأسه، لكنه في الواقع كسر رؤوسنا جميعا.

سؤال: زميلك حاييم أورون قال في مقابلة صحافية بعد تركه الكنيست إن باراك دمّر اليسار الإسرائيلي.

سريد: يعتبر حزب العمل في نظر الجمهور الإسرائيلي حزب اليسار الرئيس. وفي واقع الأمر، هذا الحزب لم يكن حزبا يساريا أبدا، لا من الناحية السياسية ولا من الناحية الاقتصادية، وخصوصا خلال فترة ولاية باراك في رئاسة الحزب. وعندما يقول رئيس المعسكر كله أنه لا يوجد بين الفلسطينيين من يمكن التحدث معه، وأنه لا يوجد ما يمكن التحدث حوله، وأنه أعطى الفلسطينيين كل شيء والفلسطينيون رفضوا، فإن هذا سيظل يلاحقنا طوال الوقت. وما فعله باراك في كامب ديفيد كان عبارة عن زلزال. والأرض ما زالت تهتز. ورئيسة حزب العمل الحالية (شيلي يحيموفيتش) لديها موقف غريب، الآن. فهي تقول إنها ستعالج قبل أي شيء آخر المشكلات الداخلية، وفقط بعد ذلك ستتفرغ جلالتها للشؤون الخارجية. لكن ليس صحيحا التفريق بين الأمور السياسية والاقتصادية والاجتماعية. فكل هذه هي قضية واحدة. فقط في الخزانة توجد أدراج، لكن الحياة ليست مقسمة إلى أدراج، وكل شيء موجود في الحيز نفسه. هل تعتقدان أن بالإمكان حل مشكلة اجتماعية واحدة في إسرائيل من دون أن نتحرّر من تلك الحدبة التي اسمها احتلال؟.

سؤال: لدى إشغالك منصب وزير التربية والتعليم في حكومة إيهود باراك، حاولت من دون نجاح كبير أن تدرج قصائد محمود درويش ضمن مناهج التدريس الإسرائيلية... كيف واتتك الفكرة؟ وماذا كانت دوافعك؟ ولماذا لم تنجح؟.

سريد: كنت صديقا لمحمود درويش، فأنا أديب وشاعر أيضا. وأعتقد أن محمود درويش هو شاعر مهم، بمعنى أنه شاعر أولا وقبل أي شيء. والشعب الفلسطيني ينظر إليه على أنه الشاعر القومي. وقد التقيت به عدة مرات. وفي أحد الأيام، وأعتقد أني كنت قد أصبحت حينها وزيرا للتربية والتعليم، روى لي درويش أنه تعلم قصائد الشاعر العبري حاييم نحمان بياليك، وأن هذا كان مهما جدا بالنسبة له، لأن بياليك كان شاعرا متميزًا وأن الإسرائيليين ينظرون إليه على أنه الشاعر القومي. وقال إنه من خلال قصائد بياليك تعلم عنا أكثر مما كان يمكن أن يتعلم من جميع كتب التاريخ، واطلع على صدماتنا وتخوفاتنا وآمالنا. وهذا أعجبني كثيرا. وبعد أن عدت إلى بيتي قلت لنفسي: «يا الله ما أغباني، يحكي لك محمود درويش عن مدى اهتمامه بتعلم بياليك. فلماذا لا يتعلم الأولاد الإسرائيليون بعض قصائد محمود درويش؟ فهذا مهم لهم أيضا». بعدها اخترت شخصيا ثلاث قصائد لدرويش كانت جميلة في نظري. ولا تظنان أنني شخص ساذج. ولم أكترث بغضب البعض هنا. لكن ولايتي في الوزارة كانت قصيرة لأسفي الشديد. وسرعان ما خلفتني ليمور ليفنات (وزيرة التربية والتعليم في حكومة أريئيل شارون الأولى) وتم دفن كل هذا المشروع. لكني سأكشف لكما، وهذه معلومة أعرفها بشكل شخصي، أن ثمة مدارس يهودية كثيرة في إسرائيل ما زالت تدرس قصائد محمود درويش على الرغم من شطبها رسميًا من مناهج التدريس.